أثر الإشارات البدنية في القواعد النحوية

د. علي محمد نور المدني *

الملخص

هذه دراسة وصفية تحليلية، تهدف إلى الإبانة عن أثر الإشارات البدنية -المصاحبة للكلام- في القواعد النحوية. ويقوم أساس بناء البحث على تقدير معنى الإشارات، تقديرا لفظيا مفهوما من طبيعة الإشارة؛ ذلك أنه لا أثر للإشارة في القاعدة النحوية ما لم يتم تأويلها إلى تركيب، وبذلك تكون الإشارة الحسية هي الجالبة للعامل النحوي.

وتعد هذه الإشارة لغة غير لفظية، ووسيلة من وسائل التواصل، مكملة للغة المنطوقة، أو مؤكدة إياها، أو بديلة منها.

ويستعين البحث بعدة فروع من العلوم الإنسانية التي تعنى بدراسة الإشارات، ومنها: علم الإشارة «السيمياء»، وعلم النفس، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الاتصال .

وفي التراث العربي أصول لهذه الفروع المعرفية، تتمثل في أقوال صريحة -ولكنها متفرقة- للجاحظ، وابن جني، والسهيلي وغيرهم، وكلها تدل على ريادتهم في التنبه لأهمية هذه الإشارات، وأثرها في اللغة المنطوقة.

وهذه الدراسة غير مسبوقة فيما أعلم، فلم أجد من وقف على بيان أثر الإشارات البدنية في القواعد النحوية، من خلال أبواب متخيرة في النحو العربي، تكشف عن هذا الأثر. وقد قسمت هذه الأبواب إلى قسمين أولهما: المفردات، ومنها: أسماء الإشارة، والضمائر، والظروف، وأسماء الأفعال. وثانيهما: الأساليب، ومنها: الأمر، والنهي والنفي، والاستفهام، والنداء، والتوكيد.

ويخلص البحث إلى أن هذه الأبواب كلها مما يظهر فيها أثر الإشارة الحسية واضحا في القاعدة النحوية.

---

* جامعة البحرين - كلية الآداب

The Effect of Body Signs on Arabic Syntax

Dr. Ali M. N. al-Madani

Abstract

This is a descriptive analytical study, aims at clarifying the effect of parallel body language on Arabic syntactical rules. The structure of the study is basically built on the semantic interpretation of body gesticulations into verbal indicators, by definition gestures do not have any effect on syntactical rules unless interpreted into meaningful language structure, consequently considered as stimulant syntactical agent. Although gesticulations are non verbal language, communicative means and complement part of the uttered language, emphasize it or act as an alternative. These signs are nonverbal language , and they act as means of communication, which complete the verbal language, alternate it or emphasize it. The study relies on several branches of humanities such as semiology, psychology, psycholinguistics, sociolinguistics and communication. In literary Arabic, there are some roots for these branches of knowledge which appear as deferent statements by al-Jahiz, Ibn Jinni, al- Suhayli and others. These says point out that they were aware of the importance of the signs of body language and their effect on the verbal language. To the best of our knowledge no previous study has been attempted to discover the influence of body language on Arabic syntax rules nor applied on selected subjects in Arabic syntax.

The selected subjects studied here are of two categories; the first category includes single words, such as nouns of signs, pronouns, adverbs and nouns of verb, while the second category is comprises structures, i.e. 'imperatives', negatives and 'prohibitions', interrogatives,' calling' and emphasizing.

It was found that the effect of body signs clearly appear on the above mentioned subjects.

---

* ***University of Bahrain - College of Arts***

الوسيلة اللسانية المنطوقة أو المكتوبة هي أساس التواصل البشري، ولكن اللغة لا تقتصر على مجرد الكلام المنطوق، أو على صورته المشاهدة المكتوبة، فهناك وسائل أخرى متنوعة، ومنها وسيلة مشاهدة ليست مكتوبة ولا ملفوظة، هي الإشارة والإيماء، أو لغة الجسد.

وهي لغة سهلة ميسرة، لا تكلف مستخدمها أي عناء، فالابتسامة تعني السرور في الأصل، والحواجب المعقودة تشير إلى الحزن أو اليأس أو الغضب، وهز الرأس إلى أسفل مرة أو مرات يقصد به «نعم»، وحركة الرأس من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين-على اختلاف فيها بين الناس- تدل على الرفض أو على معنى «لا»، وهكذا في حركات وإشارات أخرى عديدة[1] . تم بيان كثير منها بأشكال توضيحية في ملحق هذا البحث.*

ومعظم هذه الإشارات إشارات عالمية، متفق عليها لدى الشعوب[2].

والمقصود بالإشارة في هذه الدراسة إشارة أعضاء الجسم بحسبانها وسيلة من وسائل التواصل مكملة للغة المنطوقة أو بديلة منها أو مؤكدة إياها في بعض المواقف، وعلى هذا فالمعني به في البحث هو التعبير بالإشارة الحركية، وليس التعبير عن الإشارة الحركية.

وللإشارات البدنية أهمية كبيرة في الدرس اللغوي؛ ذلك «أن المعاني أكبر من الكلمات، وأن الكثير من المشاعر والأفكار يحتبس في صدور الناس. ولا تحملها كلماتهم وأشعارهم... ولو كانت اللغة قادرة على أن تستوعب كل اختلاجة وكل سانحة لما لجأ الإنسان إلى غيرها في التعبير عن حسه وشعوره»[3] وهذه حقيقة يدركها العارفون بدقائق اللغة. والمتأملون في طبيعتها يجدونها مقرونة بطبيعة النفس البشرية؛ إذ إن من طبيعة اللغة أنه «مهما تروى المتكلم في كلماتها وتراكيبها، وراجع الاختيار، وصقل العبارة، فلن تكون هذه العبارة مبينة إبانة كاملة عما أراد أن يبين عنه بها، وخاصة في المواقف الحية التي هي بين أعيننا ونحن نتكلم هذا الكلام .

* أتقدم بخالص الشكر إلى الزميل الأستاذ / محمود بحلوس على جهوده الكريمة في إعداد هذه الأشكال.

ولذلك تجد المتكلم... يشير بيده إشارات قصيرة هادئة أو طويلة قوية يحاول أن يبين باليدين وهكذا يسخر أحيانا تقاطيع وجهه فيقبض أو يبسط أو يحرك رأسه وما شابه ذلك مما يصاحب النطق، وهو في حقيقته كلام غير منطوق»[4].

والخلاصة أن هذه الإشارات كلها سلوك لغوي غير لفظي، وهذا السلوك استجابة واعية لمنبه أو لمثير يدفع المتكلم إلى تعزيز حديثه بها ، هذه اللغة غير اللفظية مسلك لغوي بصري يقتضي وجود شخص تصدر عنه هذه العلامات البصرية المتمثلة في الإشارات والحركات، ويقتضي في المقابل وجود شخص مبصر يتلقى هذه العلامات بعينيه[5]. وبذلك يتم التواصل بين الطرفين بصورة واضحة.

والعلم الذي يعنى بالإيماء هو علم الإشارة أو العلامة « السيميولوجيا أو السيمياء»، الذي يصنف العلامات الإشارية أو الإيمائية وسيلة مهمة من وسائل التواصل، لا غنى عنها في مجالات كثيرة[6] . وتعد هذه الوسيلة في حقيقتها لغة غير لفظية أو نسقا دلاليا غير لفظي حسب تعبير بعض الدارسين[7]، أو فعلا دلاليا عند آخرين[8] أو سلوكا غير لغوي كما هو شائع في كتب علم النفس وعلم اللغة النفسي.

ويفرق مؤلفو كتاب علم النفس الاجتماعي المعاصر بين الإشارات الخاصة بالتواصل الاجتماعي والعلامات التي لا يقصد بها التعبير عن المعاني، وتوجيه خطاب معين[9]، وذلك على أساس أن الأول يصدر بقصد تواصل غير لفظي مع الآخرين، كالأفكار والمشاعر التي تظهر على شكل حركات وإشارات، وأن الثاني لا يقصد به التواصل غير اللفظي ، وذلك كما يبدو في بعض المظاهر الحسية في الكائن الحي كالرعشة، أو تتابع النَفَس. ثم يقرر هؤلاء المؤلفون أنه « يصعب الحكم-في كثير من الأحيان- على كون إحدى الإشارات غير اللفظية قد قصد بها فعلا توجيه خطاب أو لم يقصد، لأن هناك أنواعا من الإشارات تصدر عن أفراد لديهم دوافع لا يشعرون بها»[10].

وبسبب هذا الفارق الذي أوشك أن يوقع هؤلاء في بعض التناقض، وبسبب أن الدوافع الظاهرة والخفية، مهمة في تفسير اللغة، لأنها توضح قصد المتكلم؛ لذا تعتمد هذه الدراسة جميع الإشارات والحركات المقصودة وغير المقصودة لغة غير

لفظية، تحمل دلالة معينة. والأمثلة المستشهد بها - لبيان أثر الإشارات البدنية في القواعد النحوية – تؤكد أن المقصود من هذه الإشارات في هذه الدراسة هو الإشارات التي تنقل المعاني وتعبر عن دلالات الخطاب وليس غيرها.

وهذه اللغة تقوم بوظائف عدة، منها أنها:

1 - مكملة للغة اللفظية بإبانة المعاني والعواطف التي لا تحتاج إلى الألفاظ.

2 - وأنها تحسّن المعلومات وتعززها وتؤكدها ، وتجعلها محسوسة؛ ذلك أن مجرد اللفظ إحساس معنوي قد لا يكون مدركا تمام الإدراك، وأما الإشارة فإدراكها مادي، ولا اختلاف على أن الإدراك المادي أبين من الإدراك المعنوي.

3 - وتعمق التفاعل بين المتكلم والمخاطب.

4 - وتحدد المعاني الغامضة.

5 - وتكون بديلا مهما من اللغة اللفظية في حال صعوبة استقبالها، لأسباب التباعد بين طرفي الاتصال، أو الضوضاء أو الخلل في حاسة السمع لدى المتلقي.أو أي سبب آخر.

6 - و تجذب انتباه المتلقي[11].

7 - وقد تكون وسيلة مهمة للإبانة عن المعاني التي يخجل المتكلم من التلفظ بها حياء.

هذه اللغة غير اللفظية يعنى بها - إلى جانب السيميائيين - علماء النفس يدرسونها بوصفها سلوكا غير لغوي «nonverbal behavior»، ويمكن إدراجها ضمن موضوعات علم اللغة النفسي ، وتأتي كذلك في مباحث علم اللغة الاجتماعي ، من حيث كونها وسيلة من وسائل التواصل بين أفراد المجتمع ، وقد تناولها كثير من العلماء وفصلوا فيها تفصيلا[12]، بل توغل بعضهم بدقة في عرض أعضاء الجسم المعبرة عن المعاني بالحركات، وعين المفاصل التي تتحكم في تحريكها للتعبير عن المقاصد المختلفة، بل حدد معايير خاصة لقياس هذه الحركات على نحو ما صنع روزنفلد «Rosenfeld» في دراسته بعنوان[13] :

Measurement of Body Motion and Orientation «قياس حركات الجسم واتجاهاتها».

وقد شبه بعضهم حركات الجسم في اللغة غير اللفظية بالمقاطع الصوتية في اللغة المنطوقة، وذهب إلى أن كل حركة مرتبطة بحركات أخرى تحدث قبلها أو بعدها تمامًا على نحو ما يظهر في المقاطع الصوتية المكونة للغة المنطوقة[14]. ولعل من هذا المنطلق قدر بعضهم أن الإنسان يمكنه القيام بسبعمائة ألف إشارة عضوية، منها أكثر من عشرين ألف إشارة تعبيرية خاصة بالوجه[15]!!

وتكون الإشارة أو الحركة ذات معان واضحة من الناحية الدلالية، ويسهل ربطها بعلم الدلالة، ولكن يصعب ربطها بعلم النحو؛ لأن ذلك- كما يذهب إليه توسان «Bernard Toussaint»- يلزمه اهتمام بالغ بالعناصر الحركية الإشارية الدالة، من تصنيف أشكال الحركات وحصرها وتعدادها إلى تحديد أصولها وكيفية تسلسلها، وإلى تسمية الإيماءات الدلالية المختلفة، والعمل الدءوب في ذلك كله بغية الوصول إلى نوع من النحو الإشاري على غرار ما فعله العلماء باللغة في علم الدلالة، وفي غيره من العلوم اللغوية[16]. وقريب من هذا ما يراه آلان بيز «Allan Pease» من «أن كل إيماءة مثل كلمة مفردة، وقد يكون لكل كلمة معان عدة مختلفة... وعندما تضع الكلمة في جملة مع كلمات أخرى تستطيع أن تفهم كليًّا معناها. إن الإيماءات تأتي في جمل وتقول الحقيقة بكيفية ثابتة حول مشاعر شخص ما أو مواقفه»[17].

ويكاد محمد كشاش يوافق كلاً من توسان و آلن بيز في هذا ذاهبًا إلى أن» نحو الإشارة نحو وظيفي قائم على ترتيب الحركات والإشارات في جملة تبعًا للمعاني النحوية، وبذلك تخضع الحركات إلى نحو أشبه ما يسمى بنحو النظم.[18]»

ويرى كشاش أن «الحركة الإشارية تشبه حركة الإعراب التي تدخل الألفاظ؛ فتحدد معانيها. وتشبه وضعية اللفظة في الجملة وضعية الأصابع في اليد أيضًا فكما يتكلم الإنسان بلسانه يتكلم بيده وبنانه»[19] .

وكأني بكشاش يوازن بين جهاز اللغة اللفظية و جهاز اللغة الإشارية، فالأول يتكون

من: الشفتين والفم واللسان و غيرها، والثاني مكوناته: الذراع والكف والأصابع وغيرها.

هذا في الحركات الظاهرة، ولكن في باطن النفس «ليس هناك شاهد سيكولوجي على أن العمليات المتضمنة إنتاج اللغة وثيقة الصلة بالطريقة التي تصاغ بها قوانين النحو»[20]، إلا بتقدير ألفاظ محذوفة منْوية في ضمير المتكلم، أو يجب تقديرها وفقًا للقوانين النحوية حتى يستقيم تركيب الجملة، إلا أن معرفة نية المتكلم يصعب سبرها بالربط بينها وبين الإشارة البدنية الظاهرة؛ لأن معظمها لا شعوري، أي أن المتكلم يعتمد في كلامه على مختلف هذه الإشارات- غالبا- بطريقة عفوية، ولكن هذا ليس بمانع من تفسير دلالتها النحوية، وأثرها في تركيب الجمل المنطوقة.

والحديث عن هذا كله يختص بالحركات والإشارات المصاحبة للغة المنطوقة، وأما لغة الصم فلها شأن آخر ليس من شأن هذه الدراسة، وإن كان بعض الدارسين توسعوا في تتبع قوانينها، وذهبوا إلى أبعد مما ذكرناه آنفًا، فقد ذكرت نانسي بونيفيلين «Nancy Bonavillain» أن لغة الإشارة ولغة الصم والبكم الأمريكية لغة متكاملة مكونة من قواعد الصوتيات!! والصرف والنحو[21]. كما خصص كل من فالي «Valli» ولوكاس «Lucas» في كتابهما قواعد لغة الإشارة الأمريكية قسما كاملا لدراسة النحو في هذه اللغة هو القسم الرابع، وأهم ما جاء فيه الوقوف على أنواع الجمل في لغة الإشارة[22].

ونحن لا نزعم أننا نسعى إلى تأكيد ما يسمى بنحو الإشارة من خلال الأمثلة القليلة التي نسوقها لتسليط الضوء على حركة أعضاء جسم المتكلم، لبيان وظيفة الحركة وعلاقتها بالقواعد النحوية؛ ذلك أنه إذا سلمنا بوجود فرع من فروع اللغة يسمى نحو الإشارة، فإنه لا بد أن يكون ذا طبيعة ملتصقة بالقواعد النحوية، أو مفسرة إياها، أو موازية لها؛ إذ لا يمكن صدور الإشارات ذات الوظائف النحوية المتعلقة بتركيب الجملة من غير وجود الجملة المنطوقة، وإلا لما صح أن يطلق عليها إشارات نحوية؛ لأن النحو يعالج التركيب أصلاً، فهل يمكن التسليم بوجود إشارات بدنية نحوية من

غير وجود جملة منطوقة؟ إن ذلك ممكن إذا فسرت الحركات بألفاظ محذوفة، أي غير منطوقة، ولكنها مقدرة ومفسرة بالسياق في ذهن المتكلم والمخاطب، تمامًا كما تحذف الجملة بركنيها إذا فسرها السياق في نحو: أزيدٌ قائمٌ؟ وجوابه نعم، على أن المحذوف هنا مفسر بسياق مقالي. وأما السياق الذي يفسر المحذوف ويقدره في الإشارات البدنية فهو سياق حالي، يعرف من طبيعة تلك الإشارات وأنواعها وحال صاحبها في أثناء الإشارة.

ومهما يكن من أمر فإن من المسلم به وجود إشارات بدنية كثيرة مصاحبة للكلام منها إشارات إرادية كما في حركات اليدين والأصابع والرأس والكتفين والعينين وغيرها، ومنها إشارات لا إرادية كما في احمرار الوجه خجلا، أو اصفراره مرضا، أو ارتعاد الفرائص خوفًا.

ويبدو أن تفسير الحركات اللاإرادية بنحو الإشارة صعب وإن لم يكن مستحيلاً، وأما الحركات الإرادية فإن كثيرا منها يمكن أن يرتبط بالقواعد النحوية، أو يكون مصاحبا إياها كما سيأتي.

ويجب- بين يدي هذه الدراسة- أن نقر بالفضل لأسلافنا من علماء العربية الذين سبقوا اللغويين المحدثين من الغربيين و العرب في إدراك أهمية لغة الإشارة،وإن لم يقفوا على تأصيل قواعدها.وما أوضح ما ذهب إليه أبو القاسم السهيلي في هذا المقام حين تناول المبهمات قائلا:«معنى الإشارة تدل عليه قرائن الحال من الإيماء باللحظ واللفظ الخارج من طرف اللسان و هيئة المتكلم،فقامت تلك الدلالة مقام التصريح بلفظ الإشارة؛لأن الدال على كلام النفس إما لفظ وإما إشارة وإما خط ؛ فقد جرت الإشارة مجرى اللفظ ، فلتعمل فيما عمل فيه اللفظ - وإن لم تقو قوته - في جميع أحكام العمل»[23].

وهذا الذي ذهب إليه السهيلي إسهام سباق منه في الوقوف على بعض معالم نحو الإشارة ، فهو يرى أن معنى الإشارة هو العامل في الذي بعده ، وإن حملته الصنعة النحوية- بعد هذا بقليل- إلى أن يتراجع عن ذلك بعض التراجع بقوله :« وأصح

من هذا كله عندي أن معنى الإشارة ليس هو العامل ... وإنما العامل فعل مضمر تقديره: انظر» [24] . ومع ذلك فلم يبعد السهيلي في هذا التقدير عن حقيقة الإشارة؛ لأن «انظر» إنما قدر من أصل الإشارة الحسية في هيئة المتكلم الإيمائية.

وقبل السهيلي وقف الجاحظ على أهمية الإشارة البدنية، وعدها شريك اللفظ في الإبانة عن المعاني قائلا: «والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط[25]»، ثم قال: «وحُسْن الإشارة باليد والرأس من تمام حُسْن البيان باللسان مع الذي يكون من الدل، والشكل، والتقتل، والتثني، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور[26].»

وحقيقة اللغة غير اللفظية - عند الجاحظ بينة جدا - فهو في وقوفه على وسائل البيان يجعلها على أربعة أقسام: لفظ، وخط، وعقد[27]، وإشارة. ثم يؤكد أهمية هذه اللغة قائلا: «وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكينه المستدل من نفسه، واقتياده كل من فكرفيه إلى معرفة كل ما استُخزن من البرهان، وحُشيَ من الدلالة، وأودع من عجيب الحكمة. فالأجسام الخرس الصامتة، ناطقة من جهة الدلالة، ومعربة من جهة صحة الشهادة، على أن الذي فيها من التدبر والحكمة، مخبر لمن استخبره، وناطق لمن استنطقه، كما خبر الهزال، وكسوف اللون، عن سوء الحال، وكما ينطق السمن وحسن النضرة، عن حسن الحال»[28].

وفي البيان والتبيين أضاف الجاحظ إلى الوسائل الأربع السابقة وسيلة خامسة من وسائل البيان هي النصبة، فقال: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصبة[29].»

والنِصبة كذلك لغة غير لفظية يوضح الجاحظ مقصوده بها بقوله: « والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات[30]».

وأحسب أن الجاحظ – بمثل هذه النصوص- من أقدم العلماء الذين أشاروا إلى أهمية حركات الجسم في بيان المعاني، وإن لم يشر إلى علاقتها بالقواعد النحوية

بوضوح، يقول:« والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ، وضروب المعاني، ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه[31] .»

فالجاحظ يرى أن هذه الحركات والإشارات معبرة عن الألفاظ ومعانيها، وأنها تكوّن ثلثي الكلام، وهو نسبة ليست هينة. وهذا الذي ذكره الجاحظ في القرن الثاني الهجري، يؤكده بعض علماء الغرب في عصرنا، فيرى بير دوستل أن أي حديث عادي يتألف من 35 % من الكلام، و65 % من الحركات[32].

وقد خصص ابن رشيق القيرواني بابا طويلا للإشارة، فيه أربعة أمثلة ذات صلة مباشرة بهذه الدراسة ، وأحد هذه الأمثلة هو نص الجاحظ المقتبس آنفا ، وأجتزىء بمثال آخر منه لطيف ، فقد نقل ابن رشيق أن أبا نواس جاء « بإشارات أَخَرَ لم تجر العادة بمثلها، وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة: أتصنع شعرا لا قافية له؟ قال: نعم، وصنع من فوره ارتجالا:

ولقد قلتُ للمليحة قُولي ... من بَعيدٍ لمن يحبكِ: «إشارة قُبَلة»

فأشارت بمعصم ثم قالت ... من بعيدٍ خلاف قولي: «إشارة لا لا»

فتنفسْتُ ساعة ثم إني ... قلت للبغل عند ذلك: «إشارة امش»[33]

ولم أقف – في حدود علمي– على دراسة تجمع بين القواعد النحوية والإشارات البدنية في العربية.

وهذه الدراسة – إذ تهدف إلى ربط إيماءات الجسم وإشاراته بالقواعد النحوية –لتؤكد ضرورة إبقاء اللحمة بين النحو – والصرف – والبلاغة على أصولها الأولى التي هي– أصلا– من طبيعة العربية ؛ ولذلك تمسك بعض علمائنا بعدم الفصل بينها[34]. وفيما نسوقه من الأمثلة دليل واضح على هذا الأصل؛ لأن الإشارات المرتبطة بها تبدو دائما متعلقة بسياقات معينة، ولا يمكن تفسير تلك الإشارات من غير معرفة السياق، وهو من أهم الموضوعات التي يعنى بها البلاغيون. ولذلك تتمازج فيها القواعد النحوية بالمقاصد البلاغية، وهذه وتلك لا تنفكان عن معانيهما المعجمية

ودلالاتهما الاصطلاحية.

والإشارة المقصودة في هذه الدراسة هي الإشارة بأعضاء الجسم، وليست الإشارة المكتوبة أو المرسومة كما في إشارات ورموز الحساب والرياضيات مثل: (+) زائد و(-) ناقص و (×) ضرب و (÷) قسمة، وغيرها من العلامات المصطلح عليها في العلوم المختلفة التي يعنى بها علم الإشارة.

وقبل الوقوف على الأبواب النحوية المتخيرة لهذه الدراسة، تجدر ملاحظة الجوانب المنهجية الآتية :

1 - قد تصدر الإشارة عفوية في كثير من الأحيان كما تقدم، ولذلك فالربط بين إشارات البدن وبين بعض الأبواب النحوية ليس ربط تلازم لا ينفك عنه، بل هو شأن غالب، ولكن لا تخلو تلك الإشارات- سواء أكانت عفوية أم مقصودة- من دلالات نفسية.

2 - حركة اللسان والشفتين وغيرهما من جهاز النطق ليست من الحركات المقصودة في هذه الدراسة؛ لأنها وسيلة اللغة المنطوقة، إلا إذا كانت الحركة بسبب اضطراب أو خوف، فتلك حركة تحمل دلالة غير لفظية.

3 - لغة البكم والصم- وإن كانت من أهم مصادر تلقي هذه الإشارات ودراستها- فإنها ليست مستهدفة في هذه الدراسة؛ لأنها لغة خاصة، ولكن يستعان بها في معرفة طبيعة الإشارات ودلالاتها.

4 - قد تتعدد حركات الجسم وإيماءاته في التعبير عن المقصد الواحد، وذلك حسب اعتياد كل امرئ على الإيماءة التي يتخيرها، إلا أن القدر الأكبر من هذه الحركات مشترك بين الناس.

5 - ليس من الضرورة أن يصدر التعبير مصحوبا بالإيماء في كل حين.

6 - لا تقتصر إيماءات الجسم على الأبواب المختارة في هذا البحث فحسب، وإنما هي مصاحبة للكلام دائما، ولذلك لا تهدف هذه الدراسة إلى حصر الإشارة في الأبواب المختارة، وحسب هذه الأبواب أن تكون مدخلا إلى دراسة أوسع في هذا

المجال.

7 - يتعذر الفصل- في دراسة حركات الجسم- بين دلالاتها اللغوية المجردة ودلالاتها التركيبية؛ لأن العلاقة بين المعنيين علاقة تكامل .

8 - وصف الإشارات التي اعتمدتها الدراسة مبني على الانطباعات والملاحظات الشخصية في المواقف الخطابية والانفعالية المختلفة، وهي مستقاة من البيئة المحلية والعربية، مع ملاحظة وجود بعض التفاوت بين شعوب العالم في طبيعة هذه الإشارات ودلالاتها .

ويمكن تقسيم الأبواب المختارة التي تظهر فيها إشارات الجسم واضحة إلى قسمين: أولهما: المفردات، وثانيهما: الأساليب، ومن المفردات المعنية في هذه الدراسة:

1 - أسماء الإشارة .

2 - الضمائر .

3 - الظروف .

4 - أسماء الأفعال .

ومن الأساليب:

1 - الأمر .

2 - النهي والنفي .

3 - الاستفهام .

4 - النداء .

5 - التوكيد .

أولا: المفردات:

أسماء الإشارة:

قال الفاكهي في حد اسم الإشارة: « هو اسم مظهر دال بإيماء - أي إشارة – على اسم حاضر حضورا عينيا كهذا البيت ، أو ذهنيا نحو «تلك الجنة»، أو على اسم منزل منزلته»[35].

وقال العلامة الخضري في تعريف اسم الإشارة هو: «ما وضع لمشار إليه، أي حسا بالإصبع ونحوه، فلابد من كونه حاضرا محسوسا بالبصر، فاستعماله في المعقول والمحسوس بغيره مجاز بالاستعارة التصريحية الأصلية أو التبعية، على الخلاف في ذلك»[36].

وقال ابن يعيش:» ويقال لهذه الأسماء «أي أسماء الإشارة» مبهمات لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء، فتلبس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك... ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة، فيتعرف بذلك، فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصا يعرفه بحاسة البصر، وسائر المعارف هو أن تختص شخصا يعرفه المخاطب بقلبه.» [37]

وهذا- لعمري- بيان سبّاق من ابن يعيش، يخدم هذه الدراسة بوجه خاص، فاسم الإشارة على هذه التعريفات إشارة حسية حقيقية - في أصلها- تتم بحركة اليد، أو الإصبع، أو الرأس، أو العين، أو بغيرها ؛ ولذلك دعا السهيلي - فيما اقتبس من كلامه سابقا - إلى أن تعمل الإشارة فيما يعمل فيه اللفظ. وهي دعوة صريحة لم يسبقه إليها أحد من قبله فيما يبدو.

وقد وقف عبدالله الأهدل على أهمية الإشارة الحسية في اسم الإشارة قائلا: «فاسم الإشارة في ذاته صالح لكل مشار إليه بدون الإشارة الحسية، والإشارة الحسية هي التي تجعله خاصا بمشار إليه معين .

فلو فرض أن رجلا اعتدى على آخر، فجمع له القاضي عددا من الناس المشتبه فيهم وقالوا له: من المعتدي من هؤلاء ؟ فقال لهم: هذا، ولم يشر إلى أحد منهم إشارة حسية، فإن القاضي لا يستطيع معرفة المعتدي بمجرد الإشارة اللفظية، ولكنه لو قال: هذا، وأشار بيده إلى أحد الحاضرين، تعين بذلك المتهم.» [38]

وذكر بولينجر «Dwight Bolinger» أن الإيماء الحسي يكون مصاحبا للفظ الإشارة في اللغة الإنجليزية.[39]

والحركات الحسية باليد والإصبع والرأس غير خافية في الإشارة، وأما حركة العين، فقد تكون واضحة وقد لا تكون كذلك، فمثلا لو كان أمامي كتاب غريب، وقلت:«هذا كتاب غريب»، فقد أشير إليه بإحدى الحركات الواضحة، أو بحركة شبه واضحة، بتوجيه العينين- إلى الكتاب- مع تحريك الحاجبين والرأس غالبا، وقد اكتفي بمجرد النظر إلى الكتاب، وأنا ألفظ «هذا»، وهذا النظر في حقيقته إشارة معتمدة على العين، وإن لم تحرك؛ إذ ليس من المعقول أن أقول: «هذا كتاب غريب» والكتاب أمامي، وأنا أنظر إلى الخلف في أثناء الإشارة اللفظية .

وحركة أعضاء الجسد في اسم الإشارة عنصر من عناصر اللغة غير اللفظية، سواء أعددناها الأصل في التواصل، أم جعلناها عاملا مساعدا للغة اللفظية، يوثق التفاعل بين المتكلم والمتلقي . ولذلك ربط بعض الدارسين بينها وبين بعض الضمائر، في إفادة التواصل بالإشارة فقال: « إذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه، فإن أسماء الإشارة «أسماء الإشارة المكانية والزمانية وكذلك الظروف الدالة على الاتجاه» تحدد مواقعها في الزماني والمكاني داخل المقام الإشاري. وهي تماما مثلها لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه .» [40]

ويتأمل المشاهد حركة يد القائد- من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين- وهي تمتد أفقيا مشيرة باليد كلها إلى جنود في الساحة[41] : «هؤلاء كلهم تحت إمرتي». وفي تحديد المكان قد يشير المتكلم بالسبابة موجهة إلى أسفل للمكان القريب نحو: «هنا جلسنا[42]»، وللبعيد يشار بالسبابة ممتدة باستقامة نحو: «هناك وقفنا[43]» وهكذا.

وهذا كله واضح في الإشارة إلى المحسوسات فكيف يكون الحال في الإشارة إلى الأمور المعنوية والذهنية؟ هل يمكن أن تكون مقترنة بالإشارة البدنية؟ هذا ممكن، وإن كان «مطلق الإشارة حقيقة في الحسية دون الذهنية[44]»، كما نص عليه الشيخ خالد الأزهري، وكما صرح به الخضري في النص المقتبس آنفا .

والذي لا خلاف عليه أن الإشارة إلى المعاني تقع في اللغة على سبيل المجاز كما تقدم في تعريف الخضري، ولكن لا يبعد أن تقترن الإشارة المجازية بالإشارة البدنية،

كقولك لأحد الصغار: «أطع والديك هذا أمر» وأنت تشير بإصبعك إلى معنى من المعاني الذهنية بتوجيه السبابة مستقيمة إلى الأعلى ، ثم خفضها مائلة إلى أسفل[45]، ومثل هذه الإشارة ليست إلى شيء محسوس. ومثل هذا كثير في كلام العرب، وله شواهد عديدة كما في قوله تعالى: «ذلكَ الفَوزُ العَظيمُ»[46]، وقوله: «ذلك الخزيُ العَظيمُ»[47]، وفيه دلالة على حقيقة وجود المعنى المشار إليه ، فكأنه تأكيد على أنه واقع،فالإشارة في الآيتين الكريمتين موجهة إلى معنيين غير حسيين ، وهما الفوز والخزي.

ولما كان الأصل في أسماء الإشارة هو الإشارة بها إلى مسمى فإن حركة الإيماء لها وظيفتان في تركيب الجملة: أولاهما: أنها تتضمن معنى الفعل، وأخراهما: أنها تزيل الإبهام عن المسميات المشار بها إليها نحو «هذا زيد مقبلا» و «هذا زيد عندي»، فالفعل المقدر للإشارة هو «انظر» وهو عامل في الحال وفي شبه الجملة، وكأن حركة الإشارة هي جالبة العامل «انظر»، واسم الإشارة المجرد مبهم، ولكن يزول عنه الإبهام بوجود الحركة الإيمائية في أثناء النطق به .

الضمائر:

«الضمير لفظ جامد أفهم غائبا أو حاضرا وضعا[48]»، أو هو «اسم لما وضع التعيين مسماه» [49] . وترتبط الضمائر ارتباطا وثيقا بالإشارة الحسية وبخاصة ضمائر التكلم وضمائر الخطاب، حتى أطلق عليها بعض الدارسين مصطلح «الضمائر الإشارية، وذلك لدلالتها على الحضور. بل قام أحدهم بتفريع الضمائر إلى «فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب «ثم فرع» ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المتقبل»[50]. وأما ضمائر الغيبة فإنها قد تكون ضمائر إشارية في بعض الحالات[51]. ولذلك يكثر الإيماء الحسي مع الضمائر، فالمتكلم كثيرا ما يشير إلى نفسه بإصبعه، أو يضرب على صدره بيده عندما يقول «أنا» أو «نحن»[52]، وقد تتكرر هذه الحركة أكثر من مرة، وبخاصة في مقامات التحدي، أو الفخر كقول الشرطي – وهو يشير إلى صدره مرة أو أكثر – : «أنا» في الرد على السارق المتحدي الناس بقوله : «من الذي يمنعني

من السرقة؟»، أو كقول التلميذ المهمل- المفتخر بإهماله- لزملائه:«أنا- وهو يشير إلى نفسه- لا أخاف من المعلم، وأنتم- وهو يشير إلى زملائه- جبناء تخافون!».

وتكثر الإشارة إلى ضمير المخاطب في أثناء الخطاب، إلى درجة توقع كثيرا من تلاميذ المدارس في اللبس فيخلطون بين اسم الإشارة وضمير الخطاب، فيحسبون الأخير اسم إشارة؛ وذلك لدلالته الصريحة على الإشارة كما تقدم .

وأما ضمير الغائب فقد يشار إليه بإصبع الإبهام منحنيا إلى الخلف، أو بالسبابة الممدودة في حالة حضور الغائب فيقال مثلا: «هو الذي جنى على نفسه» [53]. وحركات الجوارح المصاحبة للضمائر المختلفة في الأمثلة السابقة وغيرها كلها مفسرة بالسياق. والوظيفة الحركية للجوارح مع الضمائر لها دور كبير في التأكيد، وهو دور متمم لوظيفة الضمائر؛ لأن المقصود من وضع المضمرات- كما نص عليه الرضي- «رفع الالتباس، فأنا وأنت لا يصلحان إلا لمعينين، وكذا ضمير الغائب نص في أن المراد هو «المذكور بعينه [54]». وذكر الدماميني أن المراد من الضمير: «جعل المعنى معاينا للسامع أو كالمعاين [55] ويتبين من كلامهما أن وظيفة الحركات الجسمية مع الضمائر هي تأكيد تعيين صاحب الضمير.

الظروف :

الظرف «ما ضمن- من اسم وقت أو مكان- معنى «في» باطراد لواقع فيه مذكور، أو مقدر ناصب له [56]».

وهذا معناه أن الظرف يستخدم في اللغة لبيان الظروف التي يقع فيها الحدث، والتمييز بين كيفيات وقوعها أو توقيعها . وتدل كثرة الظروف في لغة من اللغات على أن الناطقين بها يدركون الحوادث على كل صورة من صورها، ويديرون النظر على كل وجه من وجوهه ، فهم لا يضيقون إدراكهم الحدث على صورة واحدة، بل يعبرون عنه بجوانبه المتعددة [57]، ولذلك تكثر الإشارات البدنية مع الظروف المكانية، وقد تقدم الكلام على «هنا» و «هناك» في أسماء الإشارة. ويمكن أن نضيف إليهما بعض الظروف الأخرى لنتصور معها اللغة غير اللفظية – لغة أعضاء الجسم- في سياق

ورود الظرف في جمل متعددة، فمثلا يمكن أن تمتد يد القائل مستقيمة إلى أسفل والكف مبسوطة- وهو يقول: «سرت أماما [58]»، فإذا قال: «وقفت خلف الباب»، احتمل أن يشير بيده كلها إلى الخلف منحنية على هيئة الرقم سبعة أعلى جذعه، وقد تكون الكف مبسوطة مقابلة للأذن، فتكون الإشارة عندئذ بالكف [59]، وقد تبقى اليد كذلك، ولكن الإشارة تكون بالإبهام المنحنى إلى الخلف، والمتأمل في مثل هذه الإشارات البدنية يفهم منها أن القصد منها جذب انتباه المتلقي إلى المكان الذي وقع فيه الحدث.

وقد تشترك اللغة غير اللفظية مع اللغة المنطوقة لبيان المعنى وتأكيده في ظرف الزمان إجابة عن السؤال التالي: متى الوصول؟ وجوابه الآن أو اليوم، وهو جواب قد يكون مقترنا بحركة السبابة إلى الأسفل [60]، وكأنها تعبر عن «في» الظرفية المضمرة في الجملة. وتختلف الحركة تبعا لاختلاف الجواب: فإذا كان الجواب: «أمس»، فإن الحركة تكون على النحو الذي تم شرحه في جملة «وقفت خلف الباب» [61].

ولما كانت الظروف مما يدخله الإبهام حَسُن للمتكلم أن يعضد كلامه بالإشارة إليها بأحد أعضاء الجسم وبخاصة في الظروف المكانية لأنها من الظروف التي يكثر فيها الإبهام[62] وتكون وظيفة الإشارة البدنية عندئذ رفع الإبهام أو تقليله بالاعتماد على الفعل الدلالي الذي يشير إلى المكان فيعينه ويحدده ليكون شاخصا أمام المتلقي. وهذا جلي في الجهات الست وما كان في معناها نحو:فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف. والإشارات المقرونة بها - بكثرة- واضحة، وبخاصة إشارات اليد ممدودة نحو هذه الجهات. وكذلك الشأن مع المقادير والمساحات كالميل والفرسخ والبريد ونحوها لأنها مبهمة، قال ابن عقيل:«أما المقادير فمذهب الجمهور أنها من الظروف المبهمة، لأنها- وإن كانت معلومة المقدار- فهي مجهولة الصفة [63].» وقال الأهدل: «والمبهم هو: ما لا يختص بمكان بعينه، ولا تعرف حقيقته إلا بما يصحبه من مضاف إليه أو إشـارة [64].»

فالإشارة الحسية في مثل هذه الظروف لها وظيفتان: الأولى: التعيين، والثانية: التعويض عن العامل المقدر في الظرف وهو المتعلق بـ «في». أي أن الإشارة الحسية حلت

محل اللفظ المقدر.

وهذه الحركات المصاحبة للغة اللفظية التي ألفناها في تعيين الظروف معروفة بإشاراتها في لغة الصم والبكم الأمريكية على نحو ما ذكره كديل « Scott Kiddel» في الفصل الذي عقده للدراسة النحوية في هذه اللغة [65].

أسماء الأفعال والأصوات :

«هي كل اسم لازم النيابة عن فعل دون تعلق بعامل [66] ». هذا التعريف نجتزىء به، دون الخوض في حقيقة أسماء الأفعال وما جرى عليها من خلاف [67]؛ لأن هدف هذه الدراسة تتبع الحركات البدنية المصاحبة للمتكلم مما يرتبط ببعض قواعد اللغة العربية، لعلها تقع موقع التطبيق في النحو الإشاري كما تقدم. وإذ لا تسع الدراسة ذلك ولا تسع عرض جميع أسماء الأفعال والأصوات، فلا بد من تخير بعضها مما قد تظهر فيه وظيفة الفعل الدلالي، أو بتعبير آخر مما قد توظف فيه حركة الجسم في خدمة المعنى والتركيب.

فمن ذلك «صهْ» وهو اسم فعل أمر بمعنى اسكت، وكثيرا ما يصدر ومعه إشارة السكوت المعروفة، وهي رفع السبابة- باستقامة - على الشفتين وهما مستويتان برهة قد تمتد إلى ما بعد الانتهاء من نطقه [68]. ولهذه الحركة وظيفة دلالية واضحة لبيان استياء المتكلم من المخاطب، كما أنه كلما زادت مدة المكث في هذه الحركة أشعر المخاطب بزيادة استياء المتكلم. وبخاصة أنها تكون مصحوبة بحركة أخرى وهي تقطيب الجبين. وطول المكث حركته واضحة، وفيه دلالة ظاهرة على التوكيد، وأما الاستياء فهو من المشاعر الداخلية التي قد لا تظهر واضحة من غير ظهورها في قسمات الوجه، أي أنه يتم التعبير عنه بلغة غير لفظية، بل إن إشارة السكوت قد تصدر غير مقرونة باللفظ، وعندئذ تقع الإشارة موقع جملة تامة، مكونة من فعل وفاعل مستتر والتقدير : «اسكت».

ومن ذلك «آمين» اسم فعل أمر بمعنى استجب، وهل يقع هذا الفعل من غير رفع اليدين إلى السماء طلبا للاستجابة إلا نادرا؟ [69] كما أن سائل الاستجابة – إذا كان

مستغرقا في الدعاء تبدو على هيئته أمارات التذلل والخشوع، وهي تعبير آخر غير لفظي مصاحب للتعبير اللفظي في أثناء النطق بـ «آمين».

ومنه «بلّه» كقولك: «بلّه زيدا» بمعنى دعه، والحركة الطبيعية التي قد تصحب معنى الترك هنا هي الإشارة- المكررة إلى الأمام والخلف- بظهر الكف ممدودا، أو مقوسا من غير تفريج بين الأصابع [70]، لجذب انتباه المتلقي للأمر. وسياق هذا الأمر مشعر بعدم اكتراث الفاعل بالمفعول فضلا عن تحقيره، وهذا إنما يظهر بالإشارة التي قامت مقام عامل دلالي مؤثر في معنى الأمر المفهوم من اسم الفعل. وقد تصدر هذه الإشارة من غير التلفظ باسم الفعل، وبخاصة في حالات الغمز واللمز، وحالات الحرج التي لا يراد لزيد أن يعلم بما يجري .

و «أفّ» اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، وله سياق نفسي خاص يتجلى في النفخة الطويلة المنبعثة من المتكلم إبان النطق بالفاء في حال الوقف عليه بهاء السكت ، إنها نفخة لها وظيفة خاصة تقوم مقام الكلمة كلها لبيان ضجر المتكلم من أمر ما .

وشبيه به صوت الهاء في «أوّه» أو «آه» بمعنى أتوجع؛ لأن آثار الوجع تظهر صوتيا في هاء السكت أو في مدها، وحركيا في علامات الوجه.

و«رويد زيدا» - بمعنى أمهله- فيه إشارة الإمهال المعروفة وهي اجتماع أصابع اليد الواحدة شبه ممدودة، ومعها الإبهام مواجه لها من باطن الكف، بحيث يتقابل باطن طرف الإبهام مع باطن أطراف الأصابع الأربعة مجتمعة من غير تفريج بينها [71].

و«وَي» بفتح الواو و«واهًا»: اسما فعل بمعنى أتعجب، وكلاهما شائعان في اللهجة البحرينية اليوم، وتكون الأولى فيها بكسر الواو، وتستخدم في أوساط النساء دون الرجال، وكثيرا ما تنطق بياء ممدودة بمقدار ست حركات للاستغراق في التعجب. وأما الثانية فهي في اللهجة البحرينية بواو غير ممدودة بالألف، وبعدها هاء ساكنة هكذا:«وَهْ» بإسكان الهاء، وكأن إسكان الهاء يعبر عن تعجب سريع طارىء لا يطيل المتكلم الوقوف عليه.

ولا يخفى شخوص العينين إلى أعلى مع رفع الحاجبين مصحوبا بوجه مشدود

في أثناء النطق بأحد اللفظين، وذلك كله فعل دلالي ذو وظيفة خاصة لأداء معنى التعجب، في سياق نفسي خاص، يتفاوت شدة وخفة بحسب موضوع التعجب. ووسيلة التعبير عن ذلك كله لغة لفظية ظاهرة في النطق باسم الفعل وأخرى غير لفظية ظاهرة في حركة الوجه كما تقدم .

ونجتزئ بهذا القدر من أسماء الأفعال؛ لئلا يطول البحث؛ لأن مجال الحديث فيها عن اللغة غير اللفظية- لغة حركات البدن- مجال واسع يمكن أن يجرد له بحث خاص.

ثانيا : الأساليب:

وأما لغة الإيماء بأعضاء الجسم في أساليب العربية فهي شائعة، وتظهر للعيان بمراقبة يسيرة، وستقتصر الدراسة على مختارات من الأساليب العربية؛ لبيان حركة الجسم فيها، وأثرها في القواعد النحوية، من غير قصد إلى دراستها دراسة نحوية أو بلاغية مستفيضة. ومن هذه الأساليب:

الأمر:

وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء [72]، هذا هو الأصل في معناه، ولكنه قد يخرج إلى معان أخرى كثيرة يفسرها السياق، قال ابن الناظم:«والأظهر أن صيغ الأمر موضوعة لذلك «- أي لطلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء- «لتبادر الفهم عند سماعها إلى الأمر، وتوقف ما سواه على القرينة، ولاتفاقهم على إضافة الصيغ إلى الأمر دون غيره» [73]. ولذلك ذهب محمد أبو موسى إلى أن مرد الأمر إلى السياق، «ولابد من تأمل السياق لأنه هو الذي تستمد منه الصيغة دلالتها، فقد ترى التركيب يجري في سياقين ويفيض بمعنيين متباينين [74]».

ومن معاني الأمر التي تعرف بالقرائن والسياق: الدعاء والالتماس والندب والإباحة والتهديد والإرشاد والتعجيز والإهانة والتحقير والتمني والتعجب وغيرها مما هو مفصل في كتب البلاغة [75]، وليس التفصيل فيها من شأن هذه الدراسة، وحسبنا أن ننتقي أمثلة منه توضح ارتباط صيغ الأمر في سياقاتها المختلفة بحركات

الجسم.

مر بنا من قبل اسم الفعل «صهْ» الدال على الأمر، وتم شرح الحركة المرتبطة به، ومثله تماما فعل الأمر من الأستاذ لتلميذه بالسكوت «اسْكتْ»، وهو أمر على أصله، وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء.

ومن الأمر طلب الابن من والده:«أعطني دينارا» وهو التماس، تمتد معه حركة اليد للأخذ، وهي حركة معروفة، فإذا أعطى الدينار، وقال له الأب «خذ..أعد إليَ نصف الدينار»، امتدت يد الوالد للعطاء ويد الابن للأخذ، والحركة المعتادة للأخذ والعطاء هنا حركة واحدة للطرفين، وهي أن كلا من الآخذ والمعطي يمسك الدينار- غالبا- بين الإبهام والسبابة وبقية الأصابع مقبوضة، والذراع ممدودة [76]، فإذا تم الأخذ والعطاء سحب كل منهما يده. والفعل «أعطى» من الأفعال التي قد يشترك فيهما الفاعل والمفعول، ولذلك قال ابن هشام:«والمفعول به عند المحققين مقدم في النيابة «عن الفاعل» على غيره وجوبا؛لأنه قد يكون فاعلا في المعنى كقولك: أعطيت زيدا دينارا، ألا ترى أنه آخذ» [77]، ولذلك تقدم أن كلا من المعطي والآخذ يقوم بفعل الحركة المشتركة.

وفي قول الأب: «أعد إليَ نصف الدينار» الفعل «أعد» كثيرا ما يرتبط بحركة اليد من الرسغ لتحريك الكف مقبوضة الأصابع إلا السبابة فإنها تبدأ ممتدة إلى الأعلى ثم تتدرج في الانحناء إلى الأسفل من أجل تحقيق إشارة الإعادة في حركة سريعة تمثل معنى الإعادة، وتؤكد معنى «أعدْ» [78].

وفي الدعاء يرفع العبد يديه وباطن كفيه أمام وجهه مع ما يصاحب ذلك من حركة الخشوع والتذلل لله الظاهرة على وجه العبد قائلا:«اللهم اغفر لي ولوالدي» كما تقدم في حركة اليدين في الكلام على «آمين» [79].

وفي التهديد والوعيد يقول امرؤ لآخر:«إن كنت رجلا فاخرج إلَيَ»، وهو يشير إليه بكفه وباطنها إلى أعلى، والأصابع مبسوطة من غير انفراج بينها، ثم يثنيها إلى الداخل، ويبسطها مرتين أو ثلاثا أو أكثر، وذلك وفقا لمستوى التوكيد المطلوب [80].

وقد تكون إشارة «اخرج» بهذا الوضع ولكن بالسبابة وحدها مع بقاء بقية الأصابع مقبوضة، وباطن الكف إلى أعلى، وهكذا تكون حركة «اخرج» في هذا المقام. ولكنها تختلف في سياق الأمر المقصود به الإهانة والتحقير، كما في الأمر الصادر من المعلم للتلميذ المشاغب:«اخرجْ»، حيث تكون الإشارة بيد تقوم حركتها على زاوية 45 درجة، مع التلويح بكف منحنية وباطنها إلى أسفل، والأصابع مجتمعة من غير انفراج [81]، وفي ذلك كله تظهر حركة الغضب في وجه الأستاذ بتقطيب الجبين، وهو انفعال يظهر في لغة الوجه دون النطق به.

ونخرج من هذا المثال وما سبقه بأن للسياق دورا مهما في نوع الحركة التي قد تؤدى مع الفعل الواحد.

ولكن قد يرد الأمر أمرا غير لفظي، أي أن الفعل يفهم بمجرد الإشارة دون النطق بلفظه، وذلك تبعا لما يقتضيه المقام لأسباب مختلفة، فشرطي المرور يصدر أوامر متعددة للسائقين، فهو يقول بيده «قفْ» عندما يمد ذراعه اليسرى إلى الأعلى في زاوية شبه قائمة، وكفه مفتوحة بأصابع مفرودة مرصوصة [82]. وإذا مد يمينه وحركها إلى الأمام والخلف بما يشبه حركة دائرية فهو يقصد:«سرْ» فإذا أراد:«أسرعْ» أجرى هذه الحركة سريعًا [83]. وهذه لغة يفهمها كل من السائقين والمارة من غير تكلف. وهذا مقام لا تجدي فيه اللغة المنطوقة؛ لتعذر سماع السائقين أوامر الشرطي وهم بعيدون عنه في سياراتهم، وعندئذ فلا مناص من الاعتماد على لغة الإشارة المستندة إلى تقدير الفعل المحذوف وفاعله المستتر والتوكيد بعده كما سبق بيانه.

النهي والنفي :

النهي هو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء [84]، ويقع بالفعل المضارع المسبوق بـ لا الناهية، وهو عكس الأمر؛ لأن الأمر طلب حصول، والنهي طلب كف.

وكما يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، فكذلك النهي يخرج إلى مقاصد عدة، تعرف من سياق الكلام وقرائنه. وكثير من هذه المقاصد يشبه مقاصد الأمر.

وأهم المعاني السياقية للنهي: الدعاء والالتماس والإرشاد والتهديد والتمني والتوبيخ وغيرها [85].

وعندما يقع النهي على أصل معناه نحو:«لا تعبثْ بالنار» فإن الحركة المعتادة للنهي هي وضع قبضة اليد كما في التشهد مع تحريك السبابة ذات اليمين وذات الشمال لعدة مرات متتابعة بسرعة [86]، وكأن القصد منها التأثير في المتلقي بلغة اللفظ نهيا ولغة الإشارة حركة، فذلك أدعى إلى الانتهاء من العبث؛ لما فيه من التأكيد بوسيلتين.

وهذه الحركة هي الغالبة في أسلوب النهي بجميع مقاصده إلا الدعاء- نحو «ربي لا تردني خائبا»- فلا يرتبط بهذه الحركة، وإنما برفع اليدين، وتوجيه البصر إليهما، أو إلى السماء، على النحو الذي تقدم بيانه عند الكلام على اسم الفعل «آمين».

ولا تكاد الإشارات الحسية المصحوبة بالنفي تختلف عنها في إشارات النهي؛ وكما أن النفي والنهي يشتركان في عدة صفات وخصائص فكذلك يشتركان في الحركة الإشارية التي تصاحبهما في اللغة اللفظية [87].

وينقل «كديل» عن بعض الدارسين أن النفي بالحركة يقع بهز الرأس يمينا وشمالا مصحوبا بتعبير من الوجه يدل عليه، من غير استناد إلى الألفاظ [88]، وهي حركة أخرى مستخدمة بكثرة في النفي [89]، فضلا عن الحركة المشار إليها آنفا .واختيار حركة النفي هذه أو تلك يعود إلى طبيعة الشخص وما اعتاد عليه في الدلالة الحركية.

الاستفهام :

الاستفهام هو طلب «حصول صورة المراد فهمه في النفس، وإقامة هيئته في العقل» [90]. أو هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، وهو أسلوب لا يعتمد المنهج العقلي المجرد دائما، بل كثيرا ما يستخدم في إثارة العواطف، وشحن الوجدان، فهو أسلوب وجداني بالدرجة الأولى [91]، ولذلك ذهب علي بن محمد الجرجاني في تعريفه إلى أنه:«استعلام ما في ضمير المخاطب [92]»؛ لأن المطلوب من المخاطب بالسؤال إظهار الخبايا التي في نفسه، مما يجهله السائل، أو مما لا يعرفه معرفة دقيقة.

وإذا كان الاستفهام طلب حصول تصور في الذهن لشيء يجهله السائل، وإذا كان

أسلوبه يثير العواطف ويشحن الوجدان، فهذا يعني أن السائل المستفسر يكون متحفزا لتلقي الإجابة، حريصا عليها، وقد تظهر بعض أمارات الحرص على ملامح وجهه، وقد يدفعه هذا التحفز وهذا الحرص إلى تعضيد سؤاله ببعض الإيماءات والإشارات البدنية في أثناء السؤال [93].

وقد تتداخل الجملة الاستفهامية مع الجملة الخبرية، وذلك عندما يقع الاستفهام بحذف الأداة نحو: «زيد عندك؟» ، وعندئذ تظهر علامة الاستفهام في اللغة المكتوبة فارقة بين السؤال والخبر، وأما في الكلام المنطوق فلا سبيل إلى التفرقة بينهما إلا عن طريق النبر المعروف في العربية وفي الإنجليزية التي أسهب بعض اللسانيين في دراسة هذه الظاهرة فيها من خلال المؤلفات التي أفردوها للنبر. وهم يعدون النبر وسيلة مصاحبة للغة اللفظية، ذات أثر بالغ في الكلام [94].

والإشارة المرتبطة بالاستفهام تقوم غالبا على حركة اليد من مفصل الرسغ حركة نصف دائرية باتجاه عقارب الساعة [95]، وقد تكون بتحريك اليد من الرسغ إلى الأمام، وكأن السائل يقذف يده نحو المسئول وظاهرها موجه نحوه وباطنها نحو المسئول. وقد تتكرر هذه الحركة إذا كان السائل ملحا في سؤاله لغرض التوكيد. وهذا في معظم أنواع الاستفهام، كما في «أين زيد؟» وهو سؤال عادي، لا تبدو فيه على السائل آثار الحركة أو الانفعال، ولكن الأمر ليس كذلك إذا تخيلنا أن زيدا طفل صغير مفقود يبحث عنه السائل معتقدا أنه يجد إجابة تخفف عنه انفعالاته التي يعبرعنها وجهه تعبيرا غير لفظي بما يظهر عليه من علامات الدهشة .

وقد تختلف الإشارة قليلا مع الاستفهام بالهمزة وبعض استعمالاتها- وبخاصة إذا كان المسئول ضمير مخاطب نحو: أأنت فعلت هذا؟ فحركة الإشارة هنا تكون بالسبابة ممدودة وموجهة نحو المخاطب «كما تقدم في الكلام عن الضمير».

النداء:

المنادى هو : «المطلوب إقباله بحرف ناب مناب «أدعو» لفظا أو تقديرا» [96]، نحو يا زيد أقبل. والنداء كثيرا ما يعتمد على الإشارة، وبخاصة إشارة اليد، فالمنادي يشير

إلى المنادى بكف اليد المقرونة بفرد الأصابع مجتمعة وقبضها في حركة سريعة، قد تتكرر أكثر من مرة للتوكيد[97]، وقد تكون الإشارة بانحناء الرأس إلى أسفل مرة واحدة أو أكثر؛ وذلك لطلب الإقبال[98]، سواء ذكر الفعل «أقبلْ» أم لم يذكر؛ لأن المطلوب من المنادى أن يقبل بوجهه نحو المنادي الذي يدعوه بـ «يا» أو بأي حرف من أحرف النداء. والمنادى في هذا الأسلوب يكون متلقيا مباشرا للخطاب من غير لبس، وتقوم الإشارة الحسية في النداء بمهمة إزالة اللبس، فهي وسيلة غير لفظية من وسائل التواصل تشترك مع الوسيلة اللفظية للإبانة عن المقاصد؛ ولذلك قال ابن هشام: «... وقد علم بالأمثلة المذكورة أنه لا فرق بين ما كان قديم التعريف كـ «زيد» وما كان حادث التعريف في حالة النداء بسبب الإقبال عليه كـ «رجل»» [99].

وربما كان اقتران الإشارة الحسية بالمنادى البعيد أكثر من غيره، لأن البعيد قد لا يسمع النداء مما يستوجب دعم النداء بالإشارة إليه.

وحروف النداء المستخدمة للبعيد حقيقة أو حكما: يا، وأيا، وهيا،وآي، وآ،على اختلاف في بعضها عند النحاة [100]، وكلها تقوم فيها الإشارة إلى المنادى مقام الفعل المقدر «أدعو» . وبذلك تكون الإشارة الحسية هي الجالبة للفعل المقدر وفاعله المستتر فيه، أي أنه فهم من الإشارة حذف جملة فعلية بركنيها .

التوكيد:

يحمل التوكيد في اللغة إيحاء نفسيا قويا، يدل على حرص المتكلم على وصول معنى كلامه إلى المخاطب واضحا لا لبس فيه. والإشارة البدنية القائمة بالوظيفة النحوية في هذا الباب تكون أظهر في التوكيد المعنوي منه في التوكيد اللفظي المقتصر على ألفاظ محددة.

وتستخدم لغة الحركة والأفعال لدعم التعبير اللفظي؛ بغية التوكيد وزيادة توضيح المعنى [101] ويذكر مهرابيان «Albert Mehrabian» أن الإشارات والحركات المتكررة «إشارات اليد وحركات الرأس مثلا» وسيلة من وسائل التواصل الضمني- التي تصاحب اللغة اللفظية- توظف لبيان الوقف والابتداء في الكلام، أو لإفادة

التوكيد [102].

وهذه الأمور كلها تؤثر في كل من الدلالة والتركيب . ويقرر كشاش» أن الحركات تؤكد المعاني وتمثل الحقائق وتزيد في إيضاحها» [103].

وللنبر والتنغيم أثر واضح في توكيد المعاني ، من غير استخدام وسائل التوكيد المعروفة، فقد عدهما هيرتز «Hirts» وسيلة من الوسائل النحوية لإفادة التوكيد مخصصا لهذه الظاهرة دراسة مستفيضة [104].

ويذهب محمد علي الخولي أن كل حركة في اللغة الجسمية «تعطي معنى يؤكد الكلام أو يكمله أو يناقضه أحيانا» [105].

وهذا الذي ذكره من أثر الحركة الجسمية في توكيد الكلام أو إكماله ثابت لا شك فيه، وأما مناقضته للكلام ففيه نظر، إلا إذا كانت الإشارة من المخاطب، حين يوجه المتكلم إليه كلاما، فينفيه المخاطب بحركة يده أو سبابته على النحو الذي تقدم الكلام عنه.

والحق أن دلالة الحركة الحسية على التوكيد واضحة في معظم الأبواب النحوية كما ظهر في الأبواب السابقة، وقد تقدمت فيها إشارات عجلى، إلى التوكيد في مواضعها من تلك الأبواب، ولا ريب في أن كل حركة وكل إشارة تتكرر لأكثر من مرة يراد بها التوكيد، وكلما زاد عدد مرات الحركة ازداد التوكيد قوة، وقد تبين هذا في الكلام عن أسماء الإشارة والضمائر والظروف وأسماء الأفعال وفي الأمر والنهي والنفي والاستفهام والنداء .

ونتبين أهمية الإشارة البدنية في التوكيد المعنوي، خاصة، ولنقف مرة أخرى على حركة يد شرطي المرور، لبيان التوكيد فيها. إن حركة يده- وهو منهمك في العمل الدءوب على انسياب حركة سير المركبات؛ ليدفع عنها الزحام- تؤشر إشارات سريعة متتابعة؛ إن هذه الإشارات تقول لكل سائق: « أَسْرِعْ»، مرارًا، وفي كل حركة توكيد لما قبلها توكيدا معنويا بتكرار الحركة لفظيا عشرات المرات. ولا جرم أنه توكيد أبلغ من التوكيد اللفظي باللغة المنطوقة، فضلا عن أنه يحمل إيحاءً نفسيا يدفع السائقين إلى

سرعة العبور. ومثل هذا الإيحاء قد لا تحققه اللغة المنطوقة في هذا المقام، فالإشارة الحركية هنا قامت بعدة وظائف نحوية، فهي حلت محل الفعل وفاعله المستتر، بالإضافة إلى توكيد عامل الفاعل.

وتظهر الأهمية الخاصة للغة الإشارية في هذا المقام إذا أدركنا أن اللغة المنطوقة غير مجدية فيه؛ لتعذر التواصل اللفظي بين الطرفين: الشرطي والسائقين كما تقدم. وكذلك يظهر قصد التوكيد اللفظي واضحا في كثير من حركات الجسم بالتكرار، فحركة الرأس يمينا وشمالا تعني النفي، فإذا اجتمع معها النطق بأداة النفي فالحركة بمنزلة توكيد للفظ . وأما إذا وقعت هذه الحركة بتكرار سريع- وكثير ما هي- فإن ذلك يدل على تقوية توكيد النفي[106] ، ولو انعدم النطق. فحلت الحركة إذن محل» لا»، أو «لم» مكررتين عدة مرات، وقد يؤكد النفي بتكرار حركة اليد، وقد يؤكد بتكرار تحريك السبابة كذلك لعدة مرات، بمعنى:» لا أفعل لا أفعل» أو «لم أفعل لم أفعل»، فحذفت أداة النفي والفعل بعده، وفاعله المستتر أصلا، مع بقاء إفادة التوكيد بالحركة.

ولنتأمل درجات التوكيد ومستوياته لإظهار أثر الحركة بوصفها عاملا غير لفظي في الدلالة التوكيدية من خلال المثال الآتي في جواب الاستفهام فإذا سئلت: هل تجيد السباحة؟ وأنت لا تجيدها، فإن إجابتك تكون بإحدى الطرق التالية وفقا لدرجات التوكيد:

1 - النفي بتحريك الرأس يمينا وشمالا مرة واحدة دون النطق. وهذه إجابة غير لفظية، ذات دلالة واضحة جدا، ولكنها لا تحمل توكيدا.

2 - النفي بتحريك الرأس عدة مرات دون النطق. وهذه إجابة غير لفظية أشد وضوحا من الإجابة السابقة؛ لأنها مصحوبة بالتوكيد المعنوي توكيدا حسيا بتكرار الحركة.

3 - الإجابة بـ «لا» مصحوبة بإشارة الرأس الدالة على النفي مرة واحدة. هذه الإجابة أقوى من السابقتين؛ لاجتماع وسيلتين معا في التعبير، هما:اللغة اللفظية واللغة

غير اللفظية. وتعد الحركة هنا توكيدا معنويا للنفي أقوى من التوكيد المعنوي باللغة اللفظية المجردة .

4 - الإجابة بـ «لا» مع تكرار إشارة النفي بالرأس عدة مرات. وهذه أشد توكيدا من الإجابات السابقة لتكرار التوكيد بالحركة.

5 - الإجابة بـ «لا» مكررة بغية التوكيد، مع الاقتران بتكرار إشارة الرأس عدة مرات. فهذه أقوى أنواع التوكيد على الإطلاق؛ لاجتماع وسيلتين مكررتين لتقوية إفادة التوكيد.

وقد تفيد هذه الحركة نفسها- في مقامات النهي - توكيد النهي، بمعنى: «لا تفعلْ لا تفعلْ». وكذلك يظهر قصد التوكيد واضحا بإطالة المكث على الحركة الواحدة، ففي حركة الأمر بالسكوت- المتقدمة سابقا- يتم وضع السبابة ممدودة باستقامة على الشفتين، فإذا انقضت الحركة سريعة، فذلك مجرد أمر،أي: «اسكت»، وأما إذا امتدت لبعض الوقت، فذلك دال على توكيد الفعل أي: «اسكت اسكت»، وكلما امتد زمن الحركة أطول كان آكد لقصد المتكلم. ومن الإشارات البدنية ذات الوظيفة النحوية في باب التوكيد، وضع الكف أو أطراف الأصابع خلف الأذن؛ بغية التأكد من دقة السماع، ويحمل توكيدا من قبل المخاطب المستمع، فكأنه يقول للمتكلم- بهذه الحركة- «أسْمِعني أسْمِعني» [107].

ويعد التحديق في المتكلم وسيلة حركية من وسائل التوكيد على دقة متابعة المخاطَب للمتكلم، ولذلك يدرج في اللغة الإشارية، ويسميها علماء النفس: السلوك البصري أو السلوك المرئي، وهو مصطلح سُخِّرَ له عدد من الأبحاث التطبيقية [108].

والدلالة التوكيدية لهذا السلوك الحركي ظاهرة جدا، ولكن يصعب تقديرها باللغة اللفظية،إلا إذا صح أن يكون من قبيل:»أنا منتبه منتبه»، أو «متابع متابع لما تقوله»، وهو بعيد بعض الشيء.

وقد يكون التحديق وسيلة مضللة؛ فقد يقع المستمع في حالات من شرود الذهن، ولابد – عندئذ – من التفريق الدلالي بين نوعي التحديق: الدال على الاهتمام، والدال

على الشرود.

خلاصة :

والخلاصة أن علم الإشارة علم حديث فطن إليه أسلافنا من اللغويين والأصوليين قبل أن يعرف في هذا العصر بقرون. وهو يتضمن لغة غير لفظية مصاحبة للغة اللفظية،يظهر أثرها جليا في خدمة المعاني. ولكن من الصعوبة بمكان تنظير أسس ثابتة لهذا العلم في خدمة القواعد النحوية في سبيل تأسيس نحو الإشارة، وإن لم يكن ذلك ممتنعا، ولا تزال جهود الدارسين مستمرة لتحقيق ذلك، منذ دعوة السهيلي على أن تعمل الإشارة فيما يعمل فيه اللفظ.

ولقد كانت الأمثلة التي سيقت في هذه الدراسة محاولة تصبو إلى تأسيس بعض المعالم، وفتح بعض الآفاق الظاهرة في الإشارات والإيماءات البدنية، وربطها بالقواعد النحوية من خلال أبواب منتقاة من الموضوعات النحوية في بعض مفرداتها وأساليبها. ولا ريب أن الوظيفة النحوية للإشارة ليست بمثل وضوحها في اللفظ ؛ ذلك أن الإشارة يلزمها تأويل لفظي لجلب العامل النحوي في ذهن المتكلم والسامع، فإن استقر هذا التأويل في التصور اكتمل تركيب الجملة- ذهنيا- بالعامل المقدر المفهوم من الإشارة والمعمول المذكور باللفظ الصريح كما تبين من أمثلة الدراسة .

وأيا كان الأمر فهذا الجهد بداية آمل أن تفتح الباب أمام الدارسين واسعا، للولوج فيه موسعين مجاله من خلال أبواب نحوية أخرى كثيرة، أجدها صالحة لدراسات تالية، تلم أشتات الموضوع؛ لتسهم في وضع بعض اللبنات في سبيل تأسيس نحو الإشارة.

ملحق بأشكال الإشارات البدنية

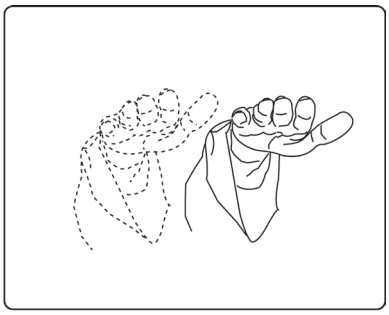

شكل ١

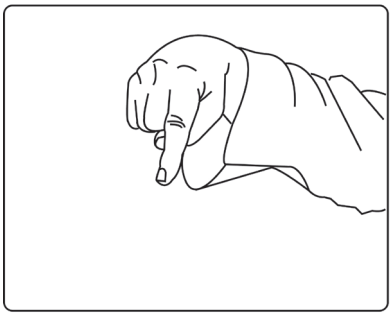

شكل ٢

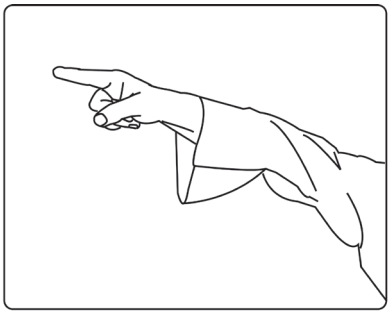

شكل ٣

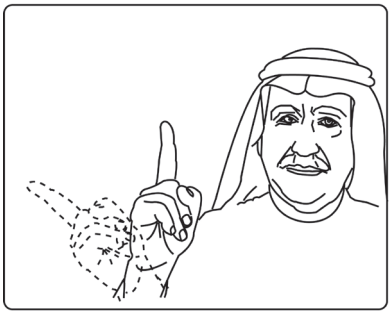

شكل ٤

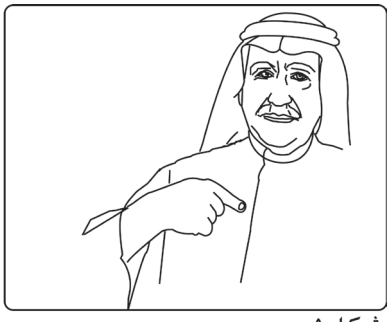

شكل ٥

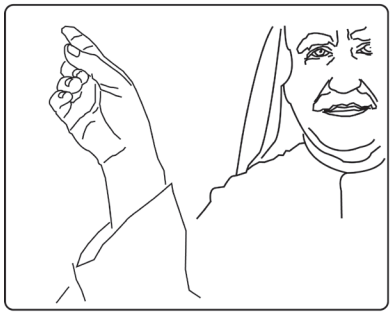

شكل ٦

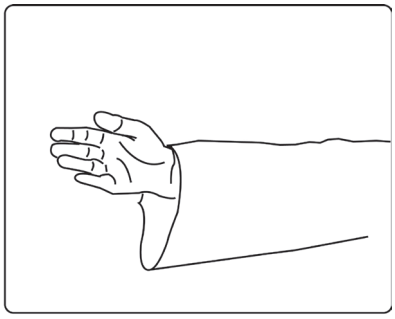

شكل ٧

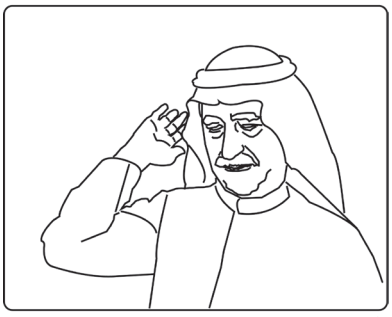

شكل ٨

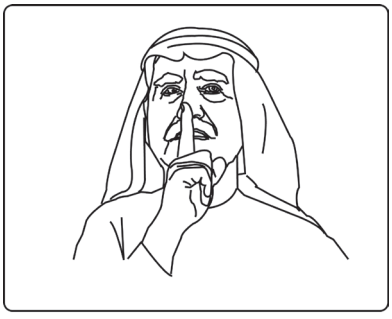

شكل ٩

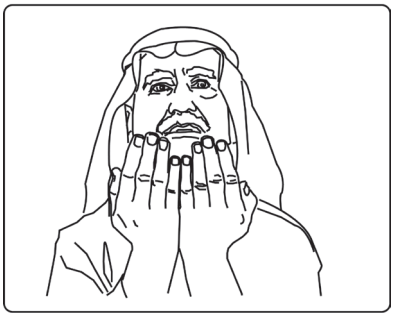

شكل ١٠

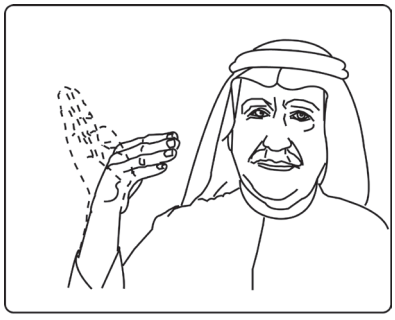

شكل ١١

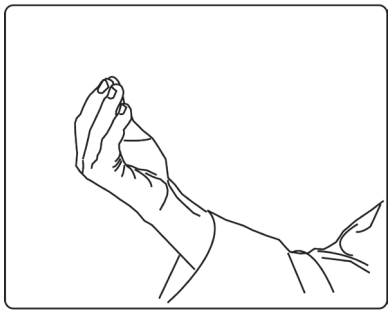

شكل ١٢

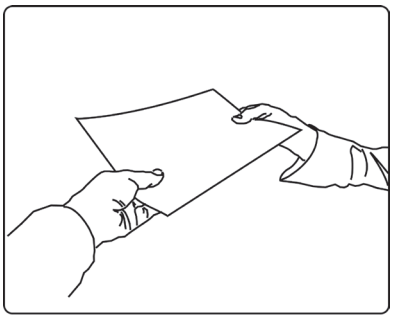

شكل ١٣

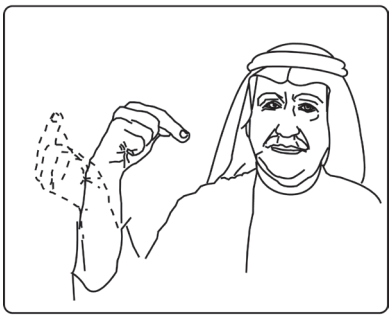

شكل ١٤

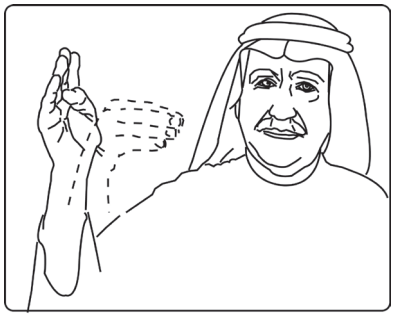

شكل ١٥

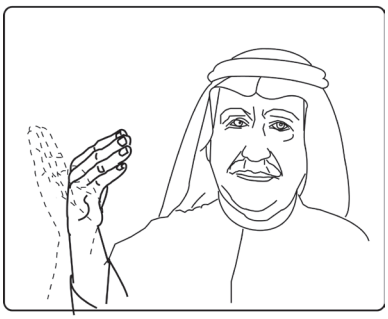

شكل ١٦

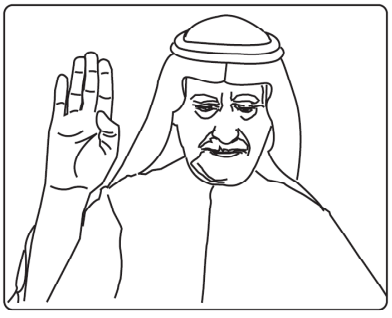

شكل ١٧

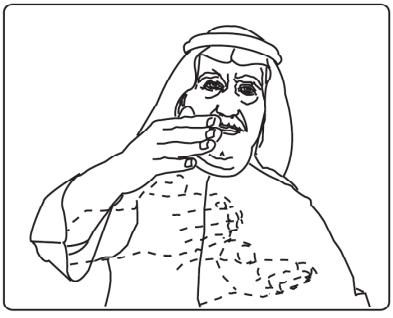

شكل ١٨

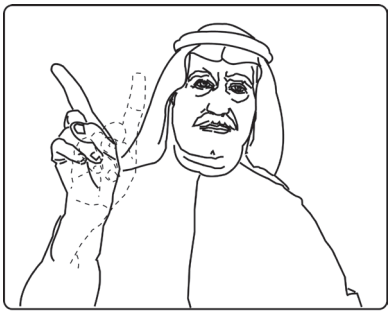

شكل ١٩

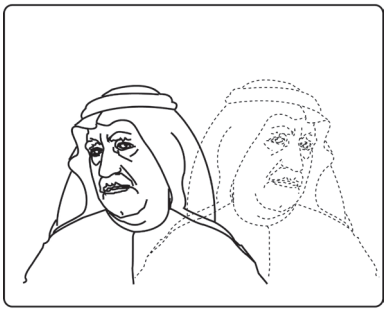

شكل ٢٠

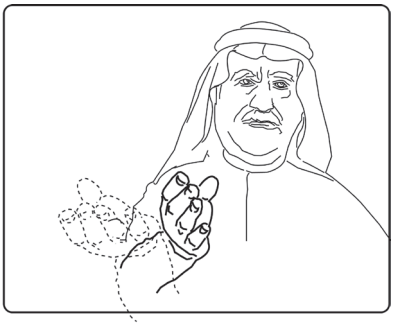

شكل ٢١

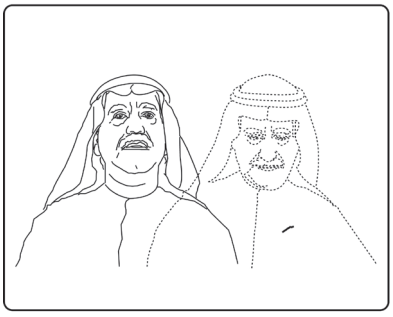

شكل ٢٢

شكل ٢٣

الهوامش والإحالات:

1 - انظر: آلان بيز، لغة الجسد الإيماءات والحركات، ترجمة عبد الهادي غلاييني، دار الإيمان، دمشق،1993، ص4. وانظر: محمد كشاش، لغة العيون حقيقتها مواضيعها وأغراضها مفرداتها وألفاظها، المكتبة العصرية ،بيروت 1999م ص 129 .

2 - انظر: Sharma, V., Body Language: The Arts of Reading Gestures and Postures, 2nd ed. Postak Ma.hal, 2004, p. 10

3 - محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب ، مكتبة وهبة، القاهرة ، 1987م ، ص 218 .

4 - نفسه ص 218 .

5 - انظر : محمد عبد الحميد أبو العزم، المسلك اللغوي ومهاراته، مطبعة مصر، القاهرة، 1953، ص 118 .

6 - انظر هذه المجالات في كتاب :برنارد توسان، ماهي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1994م، ص 27 . وقد ربط ترنس هوكس بين البنيوية وبين علم الإشارة ربطا قويا، جعلت مترجم الكتاب يمهد له بقوله : "إن طرائق التفكير وأساليب البحث التي يتضمنها الحقلان اللذان يمكن تسميتهما بالبنيوية وعلم الإشارة قد أصبح كذا جوهرية لتفهم تلك الحقيقة ." انظر: البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكس، ترجمة مجيد الماشطة ، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 1986م ، تمهيد المترجم ص5 .

7 - انظر: حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987م، ص29 .

8 - انظر: عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1990م، ص91 .

9 - انظر: عبدالحليم محمود السيد وطريف شوقي فرج وعبدالمنعم شحاته محمود، علم النفس الاجتماعي المعاصر، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص291 وما بعدها.

10 - نفسه ص 293

11 - بتصرف من: عبد العظيم الفرجاني، الدلالات المعنوية لإشارات الأيدي العفوية لدى طلاب الجامعة في كل من مصر وقطر، جامعة قطر ، 1989، ص 10 - 11 وانظر لمزيد تفصيل في وظائف هذه اللغة :

Lane, W., and Dorothy, M., The Dynamics of Communicative Development, Prentice Hall, New Jersey, 1992, pp.17- 20

Kess , J., Psycholinguistics Introductory Perspectives, Academic Press, New York, 1976 , p. 134

وانظر : موفق الحمداني، علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار المسيرة، عمان، 2004 م ، ص 221-236 .

12 - انظر المصادر السابقة وانظر:

Ellis, A. & Beattie, G., The Psychology of Language & Communication , The Geoffrey Press, New York – London, 1986, pp.16- 133

Pike, K., Language in Relation to a Unified Theory of the Structure of Human Behavior, Mouton & Company, The Hague, Paris, 1971, pp. 26

عبدالقادر عبدالجليل، وعلم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص221-236 ، وأصوات أ. كوندراتوف، وإشارات في علم اللغة، ترجمة إدوارد يوحنا، وزارة الإعلام، د.ت.، ص10 وما بعدها.

13 - نشرت– مع دراسات أخرى مشابه– في كتاب:

Handbook of Methods in Nonverbal Behavior, edited by Scherer, K.and Ekman, P., Cambridge University Press, Cambridge, 1982, pp. 199- 286

14 - انظر:

La France, M. & Mayo, C., Moving Bodies Nonverbal Communication in Social Relationships, Brooks/ Cole Publishing Company, California, 1978, pp. 121.

15 - انظر:

Burgoon, J.& Saine,T., The Unspoken Dialogue An Introduction to Nonverbal Communication, Houghton Mifflin Company, Boston, 1978, p 54.

وانظر:

Ellis & Beattie, The Psychology of Language and Communication, p. 32

16 - برنارد توسان، ماهي السيميولوجيا، ص 28.

17 - لغة الجسد، ص13.

18 - لغة العيون، ص148.

19 - نفسه ص127. ويرى آخرون أنه بالإمكان اكتشاف قواعد خاصة بلغة الإشارات المصاحبة للكلام. انظر: علم النفس الاجتماعي المعاصر، ص325.

20 - انظر:جوديث جرين، علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص122.

21 - Bonavillain, N., Language, Culture and Communication, Printice Hall Upper Suddle River, New Jersey,2000,p.30.

وانظر: تأليف كولنج، قواعد لغة الإشارة وتصنيفها الصرفي: الموسوعة اللغوية، ترجمة محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، 1421هـ، المجلد 3، ص 760-761.

22 - Valli, C., & Lucas, C., Linguistics of American Sign Language An Introduction, Gallaudet University Press, Washington, D. C., 2002, pp.121 -139

23 - أبو القاسم السهيلي، نتائج الفكر في النحو، تح . محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض للنشر والتوزيع ، الرياض، 1980م ، ص229-230 ، وانظر ص 128 .

24 - نفسه ص 230.

25 - أبو عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، تح. عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1ص77.

26 - نفسه ج1 ص 79 ، و الشكل بكسرالشين وفتحها: غنج المرأة ودلها. وتقتلت المرأة في مشيتها: تثنت. انظر: القاموس المحيط (شكل)و(قتل).

27 - العقد: نوع من الحساب يكون بأصابع اليد، أي أنه لغة غير لفظية.

28 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح. عبدالسلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت،1969م، ج1،ص34.

29 - البيان والتبيين، ج1 ص76.

30 - نفسه، ج1، ص76.

31 - نفسه، ج1 ص79.

32 - انظر: لغة الجسد الإيماءات والحركات، ص4.

33 - الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح. النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م، ج1،ص510.

34 - يقول الجرجاني: «لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ».

دلائل الإعجاز، تح. محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، القاهرة، د. ت.، ص 526.

35 - جمال الدين عبدالله بن أحمد الفاكهي، شرح الحدود النحوية، تح. صالح بن حسين العايد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ت.، ص 307 .

36 - محمد الخضري، حاشية الخضري على ابن عقيل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.،ج1 ص67 .

37 - ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت.، ج3، ص126.

38 - غيث الديمة بشرح الدرة اليتيمة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، 1999م، ج1ص322-323.

39 - انظر: Bolinger, Dwight, and Sears, D., Aspects of Language, Harcourt Brace Jovanovich, Inc., New York, 1981, p.8

40 - نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993م، ص117–118.

41 - انظر الملحق الشكل (1).

42 - انظر الملحق الشكل (2)

43 - انظر الملحق الشكل (3).

44 - الشيخ خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.،ج1ص126 .

45 - انظر الملحق الشكل (4).

46 - سورة التوبة /89.

47 - سورة التوبة /63.

48 - ابن مالك، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تح. عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف، بغداد، 1977م، ص 142 وانظر في تعريف الضمير: السيوطي، الفرائد الجديدة، تح. عبدالكريم المدرس، وزارة الأوقاف، بغداد، 1977م، ج1 ص 131.

49 - شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، ج 1، ص 95.

50 - نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص 112.

51 - انظر: الشاذلي الهيشري، الضمير بنيته ودوره في الجملة، جامعة منوبة، تونس، 2003م، ص337-339.

52 - انظر الملحق الشكل (5).

53 - انظر الملحق الشكل (6).

54 - الرضي الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تح. يوسف عمر، جامعة قار يونس .

55 - محمد بدر الدين الدماميني، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، تح . محمد عبد الرحمن المفدى، ط 1 ، 1989م، ج 2 ص 17.

56 - السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تح. عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1977، ج3 ص 136.

57 - بتصرف من: عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1970م، ص91 .

58 - انظر الملحق الشكل (7).

59 - انظر الملحق الشكل (8).

60 - انظر الملحق الشكل (2).

61 - انظر الملحق الشكل (8).

62 - للوقوف على الإبهام في الظروف المكانية انظر : القاسم بن علي الحريري، شرح ملحة الإعراب، تح. بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م، ص 184، الحسين بن موسى الدينوري، وثمار الصناعة في علم العربية، تح. محمد الفاضل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1991م ، ص 414 . وانظر تحليل عبدالقاهر الجرجاني للإبهام في الظروف في كتابه : المقتصد في شرح الإيضاح، تح. كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م، ص 641 وما بعدها.

63 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1964م، ج 1 ص 584.

64 - غيث الديمة بشرح الدرة اليتيمة، ج 2 ص 144.

65 - Kiddell, S., American Sign Language, Mouton Publishers. The Huage, Paris- New York, 1980,pp42

66 - شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، ص 736.

67 - انظر تفصيل ذلك في: شرح التصريح على التوضيح، ج 2 ص 195.

68 - انظر الملحق الشكل (9).

69 - انظر الملحق الشكل (10).

70 - انظر الملحق شكل «11».

71 - انظر الملحق الشكل «12».

72 - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت،1980م، ص71.

73 - بدر الدين بن مالك «ابن الناظم»، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، 1989م، ص 90 .

74 - محمد أبو موسى، دلالات التركيب دراسة بلاغية، ص 248.

75 - انظر: مفتاح العلوم للسكاكي، بعناية نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص 318 وما بعدها. والمصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص 90، وعلوم البلاغة، لأحمد المراغي، ص 72، ودلالات التركيب، محمد أبو موسى، ص 263 وما بعدها.

76 - انظر الملحق الشكل «13».

77 - ابن هشام، شرح شذور الذهب، تح. محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الأنصار، القاهرة، 1978م، ص 207.

78 - انظر الملحق الشكل «14».

79 - انظر الملحق الشكل «10».

80 - انظر الملحق الشكل «15».

81 - انظر الملحق الشكل «16».

82 - انظر الملحق الشكل «17».

83 - انظر الملحق الشكل «18».

84 - انظر المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص 91، وعلوم البلاغة، للمراغي، ص 74.

85 - انظر : الأساليب الإنشائية، عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ص 186.

86 - انظر الملحق الشكل «19».

87 - للتفصيل في أدوات النفي ودلالاته انظر : أساليب النفي في العربية، مصطفى النحاس،جامعة الكويت، 1979م ص 25 - 194.

88 - American Sign Language, p.3

89 - انظر الملحق الشكل «20».

90 - دلالات التركيب، ص203-204 .

91 - صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1986م، ص107.

92 - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ضبطه محمد عبدالحكيم القاضي، دار الكتاب المصري،القاهرة،1991م، ص 35.

93 - ذكر «كلنج» عدة إشارات مستخدمة في السؤال عن العدد والمكان والزمان وغيرها، ولكنها خاصة بلغة الصم البريطانية، ولذلك لم نقف عليها.انظر الموسوعة اللغوية، مجلد 3ص763.

94 - انظر:,Horn, Laurance, (editor), The Intonation of English Statements and Questions, Garland Publishing, Inc., New York & London, 1999, pp. 227 -276

95 - انظر الملحق الشكل «21».

96 - تاج الدين أحمد بن محمود الجندي، الإقليد شرح المفصل، تح. محمود دراويش، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 2002 م، م1ص399 .

97 - انظر الملحق الشكل «5».

98 - انظر الملحق الشكل «22».

99 - ابن هشام، شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، تح. هادي نهر، الجامعة المستنصرية، بغداد،، 1977م، ج2 ص99 .

100 - انظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح .عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1977م، ج 3 ص32 وما بعدها .

101 - هالة منصور: الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2003م، ص 42، بتصرف.

102 - انظر Mehrabian, A., Silent Messages: Implicit Communication at Emotions and Attitudes, Wadsworth Publishing Company. California, 1981, p.4.

103 - لغة العيون ، ص 147

104 - انظر: ,Hirts, Danile, Intonstive Features a Syntactic Approach to English, Mouton Publishers The Hague

Paris & New York, 1977, pp. 114 -127

105 - محمد علي الخولي، دراسات لغوية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982م، ص 27 .

106 - الفكرة مقتبسة من: Mastering Communication Gouran, D., Miller, L. and Wiethoff, W., Allan and Bacon, Boston, 1992، ص114، ولم يشر فيه مؤلفوه إلى موضوع التوكيد، وإنما جاءت فيه إشارة عابرة إلى دلالة الحركة على تكرار اللفظ .

107 - انظر الملحق الشكل (23).

108 - انظر: Heslin, R. and Patterson, M., Nonverbal Behavior and Social Psychology, Plenum Press, New York and London, 1992, pp. 32 -43

المصادر

أولا: المصادر العربية والمترجمة إلى العربية:

- الأزهر الزنّاد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993م.
- الأزهري، الشيخ خالد، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- الأستراباذي، الرضي، شرح الرضي على الكافية، تح. يوسف عمر، جامعة قار يونس.
- الأهدل، عبدالله، غيث الديمة بشرح الدرة اليتيمة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، 1999م.
- بيز، آلان، لغة الجسد الإيماءات والحركات، ترجمة عبد الهادي غلاييني، دار الإيمان، دمشق،1993.
- توسان، برنارد، ماهي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق،الدار البيضاء، 1994م.
- الجاحظ، أبو عمرو، البيان والتبيين، تح. عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، د.ت.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، الحيوان، تح. عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت،1969م.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح. محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، القاهرة.
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ضبطه محمد عبدالحكيم القاضي،دار الكتاب المصرية،القاهرة1991م.
- جرين، جوديث، علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

- الجندي، تاج الدين أحمد بن محمود، الإقليد شرح المفصل، تح. محمود دراويش، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2002م.
- الحريري، القاسم بن علي، شرح ملحة الإعراب، تح. بركات يوسف هبَود، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م .
- الحمداني، موفق، علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار المسيرة، عمان، 2004م.
- حنون، مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987م.
- الخضري، محمد، حاشية الخضري على ابن عقيل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- الخولي، محمد علي، دراسات لغوية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982م .
- دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1986م.
- الدماميني، محمد بدر الدين، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، تح . محمد عبد الرحمن المفدى، ط 1 ، 1989م.
- الدينوري، الحسين بن موسى، ثمار الصناعة في علم العربية، تح. محمد الفاضل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1991م
- السكاكي، مفتاح العلوم، بعناية نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- السهيلي، أبو القاسم، نتائج الفكر في النحو، تح. محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، 1980م.
- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تح .عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1977م.
- عبدالجليل، عبدالقادر، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.
- أبو العزم، محمد عبد الحميد، المسلك اللغوي ومهاراته، مطبعة مصر، القاهرة، 1953.
- العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1970م.
- ابن عقيل، عبدالله، شرح ابن عقيل على الألفية، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، د.ت.
- فاخوري، عادل، تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1990م.
- الفاكهي، جمال الدين عبد الله بن أحمد، شرح الحدود النحوية، تح. صالح بن حسين العايد، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، د.ت.

- الفرجاني، عبد العظيم، الدلالات المعنوية لإشارات الأيدي العفوية لدى طلاب الجامعة في كل من مصر وقطر، جامعة قطر ، 1989.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.
- القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح. النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م.
- كشاش، محمد، لغة العيون حقيقتها مواضيعها وأغراضها مفرداتها وألفاظها، المكتبة العصرية ،بيروت 1999م.

- كولنج، الموسوعة اللغوية، ترجمة محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، 1421هـ.
- كوندراتوف ، أ.، أصوات وإشارات في علم اللغة، ترجمة إدوارد يوحنا، وزارة الإعلام، د.ت.
- ابن مالك، بدر الدين (ابن الناظم)، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، 1989م.
- ابن مالك، محمد بن عبدالله، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تح. عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف، بغداد، 1977م .
- محمود، السيد عبدالحليم وآخرون. علم النفس الاجتماعي المعاصر، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.
- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار القلم،بيروت،1980م.
- منصور، هالة، الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2003 م.
- أبو موسى، محمد محمد، دلالات التراكيب، مكتبة وهبة، القاهرة ، 1987م .
- النحاس، مصطفى، أساليب النفي في العربية، جامعة الكويت، 1979م .
- هارون، عبدالسلام، الأساليب الإنشائية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.
- ابن هشام، محمد بن عبدالله، شرح شذور الذهب، تح. محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الأنصار، القاهرة، 1978م .
- ابن هشام، محمد بن عبدالله، شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، تح. هادي نهر، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1977م .

- هوكس، ترنس، البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 1986م.
- الهيشري، الشاذلي، الضمير بنيته ودوره في الجملة، جامعة منوبة، تونس، 2003م.
- ابن يعيش، يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت .

ثانيا: المصادر الأجنبية:

- Bolinger, Dwight, and Sears, D., Aspects of Language, Harcourt Brace Jovanovich, Inc., New York, 1981.
- Bonavillain, N., Language, Culture and Communication, Printice Hall Upper Suddle River, New Jersey,2000.
- Burgoon, J.& Saine, T., The Unspoken Dialogue An Introduction to Nonverbal Communication, Houghton Mifflin Company, Boston, 1978.
- Ellis, A. & Beattie, G., The Psychology of Language & Communication , The Guilford Press, New York –London, 1986.
- Gouran, D., Miller, L., and Wiethoff, W., Mastering Communication, Allan & Bacon (Publishing) , Boston, 1992.
- Heslin, R. and Patterson, M., Nonverbal Behavior and Social Psychology, Plenum Press, New York and London, 1992.
- Hirts, Danile, Intonstive Features a Syntactic Approach to English, Mouton Publishers The Hague, Paris & New York, 1977.
- Horn, Laurance, (editor), The Intonation of English Statements and Questions, Garland Publishing, Inc., New York & London, 1999.
- Kess , J., Psycholinguistics Introductory Perspectives, Academic Press, New York, 1976 .
- Kiddell, S., American Sign Language, Mouton Publishers. The Huage, Paris- New York, 1980.
- La France, M. & Mayo, C., Moving Bodies Nonverbal Communication in Social Relationships, Brooks/ Cole Publishing Company, California, 1978.

- Mehrabian, A., Silent Messages: Implicit Communication at Emotions and Attitudes, Wadsworth Publishing Company, California, 1981.
- Pike, K., Language in Relation to a Unified Theory of the Structure of Human Behavior, Mouton & Company, The Hague, Paris, 1971.
- Scherer, K. and Ekman, P., (editors), Handbook of Methods in Nonverbal Behavior, Cambridge University Press, Cambridge, 1982.
- Sharma, V., Body Language: The Arts of Reading Gestures and Postures, 2nd ed. Postak Mahal, 2004.
- Valli, C., & Lucas, C., Linguistics of American Sign Language An Introduction, Gallaudet University Press, Washington, D. C., 2002.

ثالثا: مواقع الشبكة:

- amazon.com as used on 6 /1 2006
- books.com as used on 9 /1/ 2006
- booksgoogle.com as used on 22 /5/ 2006